مجلة المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثالث والرابع / المجلد الثاني والستون

١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٥م

موقع كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

عناصر التحويل بين قدامى النحاة العرب والمحدثين

- دراسة مقارنة -

المدرسة المساعدة

ضوية صادق جعفر الربيعي

الملخص :

تسربت الى الباحثين العرب آراء في دراسة اللغة ومنها كتب تشومسكي ولاسيما آراؤه في التوليدية والتحويلية ، وأعجبوا بها وعدوها فتحا مبينا .

وفي هذا البحث حاولت الباحثة أن تظهر سبق النحاة واللغويين العرب الى هذا اللون من الدراسات .

المقدمة :

إنّ نظرية التوليد والتحويل التي سطع نجمها في الولايات المتحدة مع تشومسكي نالت اهتمام علماء اللسان في الغرب والشرق واحدثت ثورة لغوية في علم اللسان الحديث ، جعلت هذه النظرية وكدها تفسير اللغة على أنّها ظاهرة عقلية إنسانية إذ تعاين اللغة انطلاقا من الذات المنتجة لها . فهي وصف لمعرفة المتكلم بأنظمة لغته والقوانين التي تحتكم إليها مما يقرن الأداء اللغوي بالمستوى الذهني الذي يشكله . وتنظر التحويلية إلى اللغة

على أنّها قدرة كامنة ذات مظهر إبداعي تتجلى في قدرة أبناء اللغة على فهم ما لا يتناهى من الجمل النحوية وبنائها. ويتضح أنّ عناصر التحويل هي أصول نحوية بلاغية تؤلف ضربا من التصرف في وجوه العبارة. تأتلف نظرية التوليد والتحويل على صورة منهج متقدم من مناهج التحليل اللساني الحديث ، وتظهر اتفاقا لافتا ونظرية النحو العربي: فالأصالة والفرعية والرتبة والحذف والزيادة والبنية السطحية والبنية العميقة والقدرة الكامنة والأداء اللغوي عناصر مشتركة بين نظرية النحو العربي ونظرية التحويل .

إنّ عناصر التحويل هي أصول نحوية بلاغية تؤلف ضربا من التصرف في وجوه العبارة بما يناسب المقصد المراد التعبير عنه فهي توظيف لاستراتيجيات النحو للتحكم في معاني اللغة وتقديمها في نماذج تحويلية متعددة تفوق المعنى الناتج عن ترتيب الأبنية على النسق المألوف، فالانطلاق من بنية الأصل نحو تحولات الرتبة يمثل اتساعا في التعبير يحقق نسقا بيانيا ناتجا عن كسر النسق والمرونة في حرية الرتبة لإحداث التأثيرات الموافقة لمقتضى الحال، وتتضمن عناصر التحويل تبدلات مدارها تكوين خبرة جمالية تستحضر وسائل قادرة على توظيف المتخيل الذهني المسؤول عن الفراغ المعرفي والمشكل لمجهول البيان ، إذ تشكل نقطة تحول في دراسة النحو العربي دراسة تسهم في الكشف عن المعاني الإضافية للنصوص . وتتولى هذه العناصر اكتناه نظام التحويل الدلالي الناتج عن اختلاف درجات المعنى مما يؤدي استجلاء النص من الداخل ، وقد تسنى للعناصر التحويلية أنْ تعين كيفية تأدية الأبنية لوظائفها على وفق صياغة خاصة تسمح بمرونة تسع مدارات التوصيل

وتكوين الوجه الجمالي . وتمثل حركة العناصر بالتقديم والتأخير والحذف فهذه العناصر تمارس تمردا على قواعد البنية بما يؤلف لذة نصية تقود البنى نحو الوظائف الجمالية التي تنهض على نحو خاص .

إلى طرح تساؤل مفاده :

هل التزم النحاة القدماء بخط منهجي واحد صنعوا منه نسيج تفكيرهم النحوي ؟ وبيان ذلك أنَّ النظرية التوليدية تكشف : أنَّ اللغة (ملكة فطرية) ذات مظهر إبداعي ، تتجلى في قدرة الناطقين بلسان من الألسن على فهم مالا يتناهى من الجمل السوية . وقد اشار إلى ذلك أبو القاسم الزجاجي في كتابه الإيضاح في علل النحو أنَّ سبق الخليل إلى تقرير فكرة العلاقة الكامنة والأداء اللغوي بقوله : "إنَّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله ، وأنْ لم ينقل ذلك عنها" وهكذا يعيد الخليل اللغة إلى نظام يستنبطه أهلها ويقيمون النسق اللغوي على اساسه فهو يشير إلى القدرة الكامنة التي تسبق الإنجاز اللغوي وتجعله متناسقا إذ يصدر عن الجوهر الذي يستقر في الذهن ويفرض أشكال البنية وتلقى عبارة الخليل : "وقام في عقولها علله" مع مفهوم النحو عند التحويلين الذي يقرره نهاد موسى في كتابه نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث بقوله : "يراوح التحويليون في التعريف النحو مترادفين : اولهما : أنَّ النحو نظام من الاحكام قائم في عقل أهل اللغة ، والثاني : أنَّ النحو نظرية يقيمها اللغوي مقترحا بها وصفا لسليقة المتكلم" .

ويرى تشومسكي أنَّ نظرية العامل والربط السياقي تمثل ذروة ما توصلت إليه النظرية من اكتمال ، هذه النظرية التي بذل قصارى جهده من

اجل أن تكون نظرية لغوية متماسكة . كما أن خاصية التحويل عند تشومسكي وأنصاره تشابه في كثير من جوانبها مع ما نجده في النحو العربي من قواعد الحذف ، والإحلال ، والتوسع ، والاختصار ، والزيادة ، والترتيب .

إنَّ المتفحص والمدقق في الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التحويلية ، والقواعد النحوية التي أرساها علماؤنا العرب القدامى يجد أنَّ النحو العربي لم يكن غافلا أو بعيدا عن هذه الأسس والأفكار ، ومن ذلك مثلا أنَّ أحد أعلام العربية العلامة (عبد القاهر الجرجاني) قد سبق تشومسكي إلى تحديد الفروق الدقيقة بين العميق وغير العميق من عناصر الجملة ، حيث فرّق بين النظم والترتيب والبناء والتعليق فجعل النظم لمعانٍ في النفس وهو تماما البنية العميقة عند تشومسكي ، أما البنية السطحية الحاصلة بعد الترتيب بواسطة الكلمات ، كما أنَّ التعليق هو الجانب الدلالي من هذه الكلمات في السياق ، كما حسم عبد القاهر الجرجاني قضية ربط النحو بالدلالة ، وبيّن أهمية هذا الربط وضرورة اعتماد المكّون التركيبي على المكّون الدلالي ، هذه العلاقة تأخرت النظرية التوليدية التحويلية في إدراكها ومعرفة أهميتها إلى أن ظهر كتاب تشومسكي الثاني "مظاهر النظرية النحوية"

لذا فانّ استقراء النصوص النحوية عبر التتبع المنهجي الذي يظهر فلسفة التبويب ، وكيفية المعالجة بقصد استخلاص الصور المنهجية سيكون المنهج المتبع في هذه البحث ولا شك في الاستعانة بتطور الدرس

اللغوي الحديث ، ولعل المنهج التحويلي في صورته الحديثة ، سيكون عونا لنا في سبيل التحقيق هذا الغرض .

ولذا كان لزاما إن يلم هذا البحث بعرض ابرز الأسس التي قام عليها هذا المنهج ، وذلك نحو انطلاقة في الظاهرة اللغوية نفسها بوصفها تمثل ، قدرة فعالة ، مختصة بالإنسان ومن ثم فان المنهج اظهر اتفاقا لافتا ومنهج سيبويه في التحليل اللغوي ، فلم يكتف سيبويه بتصنيف العناصر اللغوية في مستواها السطحي بل عمد إلى البنية العميقة مظهرا أثرها في تكوين الطاقة التعبيرية ، فالحركة الإعرابية والحذف والزيادة عناصر تحويلية لها أهمية عند سيبويه في نقل التركيب من معنى إلى آخر ، وتشكل النظرية التحويلية منهجية تتوخى دراسة الجملة انطلاقا من القوانين النحوية التي تسعى إلى البيان عن قواعد المتحكمة في الأبنية وطرق تشكيلها والوظائف التي تؤديها داخل النسيج البنائي . بالتميز بين الكفاءة التي هي ملكة ذاتية تتمثل في القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية اللغة ، وتمثل البنية العميقة في الكلام ، والأداء اللغوي هوا لاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين ، وتمثل البنية السطحية للكلام .

يمثل توافق أساليب البحث اللغوي حتى يتسنى لنا بيان تفسير الظاهرة النحوية عبر المنهج التحويلي .

وقد تم العرض على الصورة الآتية :

- (التعريف بالمنهج)

- المنهج التحويلي • (تجاذب المعنى والإعراب)

- التعليق (المستقيم الحسن والمستقيم الكذب)

- الجملة البسيطة والمركبة

- الجمل الملتبسة

- توحد المعنى وتعدد الإعراب

- من عناصر التحويل (التقديم والتأخير والحذف)

- ومن نتائج البحث والخاتمة

ولأريب في أنّ الطريق شاق وطويل إلى توحيد الدراسات اللغوية بمفهومها المنهجي.

التمهيد (التعريف بالمنهج) :

المنهج التوليدي التحويلي

Trans For Motional and Generative Linguistics

منذ بداية الخمسينيات من القرن العشرين وعلماء اللغة يحاولون وضع نظام من القواعد الواضحة التي تحدد العلاقات التي تربط بين مكونات الجمل السليمة نحويا . ومن هذه المحاولات تلك التي قام بها عالم اللغة نعوم تشومسكي صاحب نظرية القواعد التحويلية التوليدية ، التي طرحها أول مرة في كتابه التراكيب النحوية syntactic structures ، الذي نُشر في عام ١٩٥٧ ، ثم في كتاب جوانب النظرية النحوية Aspects of the Theory Syntax الذي نُشر في عام ١٩٦٥ تقدّم بنموذج مبسّط للنحو التحويلي

ابتداءً . إذ ذهب إلى أن القواعد النحوية لأيّة لغة ينبغي أن تولد جميع الجمل ، والجمل فقط في هذه اللغة أي أنها قواعد تختص بالجمل في حد ذاتها .

وادى افتراض تكّون النحو من عدد محدود من القواعد القادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل إلى ضرورة صلاحية تكرر بعض القواعد . وقد اطلق عليها القواعد المتكررة recursiv ، ذلك النموذج البسيط الذي اطلق عليه نموذج القواعد النحوية المحدودة finite state grammar وهو يقوم على مبدأ يقول إن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات ، تبدأ من اليسار إلى اليمين (لأن النموذج قد طبق على الإنجليزية أصلا) ، أي عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول ، فأن كل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر التي سبق اختيارُها مباشرة ، وبناء على ذلك يجري التركيب النحوي للجملة [1]

يعد تشومسكي اللغة قدرة فعالة فطرية مختصة بالإنسان ، ومن هنا يرى أن التحليل اللساني ينبغي أن يشرح اللغة من الداخل ، وليس من الخارج ، وعدّ شرح الظاهرة اللغوية بمصطلح سلوكي. [2]

إذ إن معرفة النحو التحويلي وفهمه يعد ضرورة أساسية لأي إنسان في أي تخصص يرغب في دراسة قدرة الإنسان اللغوية والوقوف على أهمية اللغة في كافة نواحي النشاط الإنساني وسبر تلك العلاقة الفريدة الجوهرية التي

---

[1] قضايا اساسية في علم اللسانيات الحديث :١١٥.

[2] علم اللغة النص المفاهيم والاتجاهات الاستاذ الدكتور سعيد حسن بحيري : ١٢ .

يقال إنها تربط بين تركيب اللغة والخصائص الفطرية innate properties للعمليات العقلية .[٣]

ومن هنا فالمنهج التوليدي التحويلي منهج تحليلي لغوي حديث، وقد نال اهتمام علماء اللغة المعاصرين في الغرب والشرق ، وأحدث بقدرته على الوعي المتعلق الذي لايكتفي بمعاينة المستوى السطحي من النظام اللغوي بل يغوص كشفا عن التفاعل الدلالي المرتبط بالبنى العميقة ، وقد : قاد تشومسكي ثورة علمية فعلية نجم عنها ظهور لنموذج جديدNew Paradigm للتفكير في اللغة ، مقادة الاهتمام بالجهاز الذهني للمتكلمين عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي.[٤]

وهذا التركيب هو الذي يعطي المعنى المقصود للجملة ، مما ينطلق بالفعل أو يرسم بالكتابة فيسمى بالتركيب الظاهري أو البنية السطحية[٥]. والعلاقة بين البنية العميقة Deep structure والبنية السطحية surface structure تتم بواسطة ما سماه تحويلا Trans Formation

يرفض تشومسكي "تحويل اللغة إلى مجرد تراكيب شكلية يسعى الوصفيون إلى تجريدها من المعنى ومن العقل في هذا الوصف السطحي الذي يصوره دي سوسير"[٦] كما يرفض معاملة الإنسان "باعتباره آلة تتحرك

---

[٣] المصدر السابق : ٩٧.

[٤] اللسانيات واللغة العربية / عبد القادر الفهري : ٦٥ .

[٥] قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث : ١٨٤.

[٦] النحو العربي والدَّرس الحديث / عبده الراجحي : ١١٢.

حسب القوانين تحددها مواقف معينة" [٧] فالإنسان في نظره "لا يختلف عن الحيوان بقدرته على التفكير والذكاء فحسب، ولكنه يفترق عنه بقدرته على اللغة" [٨] وانتهى إلى أنّها خاصة انسانية لا يشاطر الانسان فيها أي مخلوق من المخلوقات. وإنَّ من النتائج التي توصل إليها عن طريق الفرضيات أنَّ اللغة تقوم على بنى فطرية وعالمية ، ولقد ضرب لنا مثلا عن ذلك بالعلاقة القائمة في الجملة بين المسند والمسند إليه. [٩]

وتقوم نظرية تشومسكي في القواعد التوليدية على ثلاثة مكونات :[١٠]

أولا- المكون التوليدي : وهدف هذا المكون اللغوي هدف تواردي تنظمي ، فهو توليدي لأنه ينتج عدد غير محدود من الجمل وتنظيمي لأنه يعطي معاني نحوية منظمة ومنسقة .

ويمكن تعريف الجملة التوليدية بأنها : اقل عدد من الكلمات يؤدي غرضا في جملة خبرية لا إنشائية مثبتة لا منفية مبنية للمعلوم لا للمجهول ، ويعمل هذا المستوى من خلال نوعين من القواعد التوليدية .[١١]

---

[٧] التراكيب النحوية / تشومسكي : ١٩.

[٨] المصدر نفسه : ١٩.

[٩] اللسانيات والدلالة / منذر عياشي : ١٨٨.

[١٠] المصدر نفسه : ١٨٨.

[١١] نشأة الدرس واللسان العربي الحديث / فاطمة الهاشمي : ٤ .

أولهما – التفريع : يرى تشومسكي انه لابد من تفريع الجملة إلى اصغر وحدة مكونة فيها مع الانتباه إلى ما بين الجملة ومكوناتها من تحكم مباشر ، وذلك كتحكم الجملة بمكونتها من فعل الشرط وجواب الشرط .[١٢]

والثاني – المعجم : وهو المسؤول عن إعطاء المفردات على أساس دلالتها الصحيحة وهذا يعني ان المفردة الواحدة لا تكون في التركيب إلاّ بناءً على وظائفها الاجتماعية فهي ترجعنا إلى أصل وضع اللغة الثلاث ، إذ إن المعجم يتأثر بانحراف الاغراض الاجتماعية .

ثانيا – المكون التحويلي : وهذا المكون قادر على تحويل الجملة التوليدية إلى جملة تحويلية وهناك من نوعان التحويلات.[١٣]

أ- التحويل الوجوبي : وهو الذي يتم بنطق الجملة التوليدية ، وبذلك تكون قد نقلت من البنية العميقة إلى البنية السطحية ، وقد كان وجوبيا لأنه الوسيلة التي يتم بها الكلام .

ب- التحويل الجواري : ويمكن أن يتم هذا النوع من التحويل أو لا يتم ، وذلك كالتحويل إلى جملة الشرط والاستفهام ، والنداء والتعجب وغيرها وتعتمد التحويلات على عدد من العمليات النحوية أهمها .[١٤]

---

[١٢] مدخل إلى علم اللغة / محمود فهمي حجازي : ٧٠-٧١ .

[١٣] نحو نظرية لسانية عربية حديثة ، مازن الوعر : ٥٣ .

[١٤] الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية ، مجلة المورد ، مجلد ٨ عدد ١ : ٤٣ – ٥٥ .

١-الزيادة : Addition وتتمثل في زيادة عنصر جديد لم يكن له وجود مسبق .

٢-التوسعة : Expansion وتتمثل في جعل مجال عنصر من عناصر الجملة أكثر اتساعا مما كان عليه قبل التحويل .

٣- الحذف : عنصر من عناصر التحويل يستند إلى مجهول البيان، ويمنح التراكيب قيمة جمالية خاصة، فهو نزوع إلى التحرر من بنية الأصل والانفتاح على عالم الغياب الذي يخفي علاقات تظهر الانحراف الأسلوبي.[١٥]

٤-التضييق : ويتمثل في حذف عنصر من عناصر التركيب مع كونه متضمنا في عنصر موجود .

٥- **الإحلال** ويتمثل في إحلال عنصر جديد بدل التركيب الأساسي للجملة ، بحيث يكون دالا على وروده في الذهن وذلك نحو التصديق .

٦- **التقديم والتأخير**: ويتمثل في إعادة ترتيب عناصر الجملة . ويعدّ : "الترتيب من أظهر عناصر التحويل وأكثرها وضوحا، لأنَّ المتكلم يعمد إلى مورفيم حقه التأخير فيما جاء عند العرب فيقدمه ، أو إلى ما حقه التقديم فيؤخره طلبا لإظهار ترتيب المعاني في النفس .[١٦]

---

[١٥] المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي / خليل عمايرة : ٢٢٣ .

[١٦] اللسانيات الحديثة / منذر عياشي : ١٨٨ .

ثالثا- **المكون الصرفي والصوتي** : وهو نسق من القواعد ، به تتجز الجمل التي ينتجها المكون النحوي في سلسة من الأصوات وصور من الصيغ .[١٧]

والجدير بالذكر أنّ المكون الدلالي يمثل ، في النظرية التوليدية البنية العميقة للجمل ، بينما يمثل المكون النحوي والمكون الصرفي يمثل البنية السطحية ، فإنَّ النموذج التحويلي كان أمثلها طريقة ، وكان هو الذي يلبي هذه القواعد . [١٨]

وصفوة القول أنَّ الجملة التوليدية هي البنية اللغوية قبل أنْ يدخلها أي عنصر من عناصر التحويل ، وتمثل جملة الأصل التي تندرج في قانون التوزيع المألوف عن العربية في اصل توزيعها للبنى . والجملة التحويلية تعنى مستوى نظميا يخرج عن سياق أصل التوزيع البنائي إلى انحراف أسلوبي تقوده عناصر التحويل ؛ إذ تنقل الجملة من التوليد إلى التحويل بطريقة تتضمن تنسيقا فائقا في الخروج عن المألوف تحقيقا لتكثيف المعنى بما يفوق المعنى الأولي . ويبدو أن : القواعد التحويلية هي القواعد القادرة على وصف اللغة وتفسير معطياتها كما يقول تشومسكي، وتعتمد في المقام الأول على تطبيق قواعد تركيب أركان الجملة ثم تجري عليها تحويلات إجبارية أو اختيارية ، وتبين هذه القواعد الكيفية التي يتم الانتقال

---

[١٧] المصدر نفسه : ١٨٩.

[١٨] نظرية التوليد والتحويل بين الفكرة الكامنة والأداء اللغوي / دراسات العوم الإنسانية ، المجلد ٣٦ ، العدد٢ /٢٠٠٩ م / عبد الله عنبر : ٤١٦ .

بها من المستوى المجرد للبنية العميقة إلى مستـــوى آخر هو الشكل النهائي للجملة في البنية السطحية.[١٩]

ولما كان النحاة العرب قد صدروا عن مثـــل هذه المعـــايير فانه يمكن إقامة موازنة بينهم وبيـــن المحدثين من أصحاب المنهج التحويلي في النقاط الآتية :

أولا- العلاقة بين الفكر واللغة

إنّ ميلاد المنهج التحويلي على يد تشومسكي ، الذي جهد في دراسة الطاقة اللغوية الإبداعية عند البشر ، فقد افترض أن الإنسان منذ طفولته " لديه طاقات فطرية يُعالجُ من خلالها حصيلة الإعلامات المُقدمة إليه من محيطه ، وأن محتوى هذه الطاقات الفطرية ليس له أيه علاقة باللغة التي سيتعلمها "[٢٠]وبذلك التقى تشومسكي مع المفكرين أمثال ديكارت الذي يرى أن هناك علاقة وثيقة بين الفكر واللغة ، وليس هناك فكر بدون لغة ، ولا لغة بدون فكر[٢١]

وقد صدر علماء العربية عن مثل هذا التصور الفكري مشيرين إلى تلك العلاقة القوية بين الفكر واللغة ، فلا سبيل إلى بقاء أحد من الناس ووجوده إلا بالكلام .[٢٢]

---

[١٩] ينظر : مشكلة البنية :٣٣ .

[٢٠] نحو نظرية لسانية عربية حديثة : ٥٣ .

[٢١] دلائل الأعجاز : ٤١ .

[٢٢] المصدر السابق ٣٢١-٣٢ .

وقد بلغ الربط بين اللغة والفكر ذروته عند عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) الذي اعتقد أن تنسيق الكلام وترتيبه ويكون موافقا لما في العقل ، وان البنية الموجودة في النفس (البنية العميقة) ، موافقة البنية في النطق (السطحية) يقول : " انه لا بُدّ من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص ... إن الألفاظ إذ كانت أوعية للمعاني ، فإنها لامحالة تتبع المعاني في مواقعها فإذا وجب إن يكون المعنى _ أولا في النفس ، وجب للفظ الدال عليه ، إن يكون مثله ثانيا في النطق [٢٣]. بناء على ذلك فقد وهم منراى ان البنية العميقة هي المسؤولة عن بروز المعنى الدلالي للجملة [٢٤] وقد أشار الجرجاني إلى مضمون السليقة موضحا ذلك بان أبن اللغة ، مع تمثله لقواعدها ربما لا يستطيع تعليل الخطأ الحاصل فيها رغم إدراكه له ، وقد مثل لذلك الإعرابي الذي قال : سمع المؤذن يقول :" أشهُد أن محمدا رسولَ الله" بالنصب بمعنى رسولُ الله فأنكر ذلك وقال : صنع ماذا ؟ لأن الأعرابي أدرك اختلال التركيب مع عدم اكتمال البناء الصحيح للجملة ، التي تكوّن كلاما مفيدا ، يقول الجرجاني : أنكر من غير علم أن النصب يُخرجه عن أن يكون خبرا ويجعله والأول في الأول في حكم اسم وحدا ، وأنه إذا صار في حكم اسم واحد احتيج إلى اسم آخر ، أو فعل حتى يكون كلاما ، حتى يكون اسم ذكر ما له فائدة إن كان لم يعلم ذلك فلماذا قال : صنع ماذا ؟ فطلب ما يجعله خبر [٢٥] ومن ثم كان

---

[٢٣] علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٥٦ .

[٢٤] ينظر : الألسنية التوليدية والتحولية والقواعد اللغة العربي (النظرية الألسنية)-٩٦ .

[٢٥] مدخل إلى علم اللغة العربية ، محمود حجازي : ٦٩-٧٠ -٧١ .

للنحو عند علماء العربيـــة أهمية كبرى ، من طريقه معنـيّ بالوقوف على مجموعـــة القواعـــد التي تُمكِّنُ من (انتحاء سَمت كلام العرب) ، معتقدين بأن (العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلا مِها ، وقام في عقولها عللُهُ)[٢٦] كما ذكر السيوطي أن "تميز (كم) الخبرية ، يكون مفردا وجمعا ، قال :

كم عمة لك يا جريرُ وخالة فدعاء قد حلبت عليّ عشاري

قال :

كم ملوك بـــاد مُلكُـــهمُ ونعيـــم ســـوقه بـــادوا

والافراد اكثر من الجمع وافصح حتى زعم بعضهم أن تميزها بالجمع شاذ ، وقيل : يكـــون الجمـــع على معنى الواحد .. والجر بإضافتها إليه عند البصرين ، وقال الكوفيون : بـ (من) مقدرة حذفـــت وابقي عملها .. فإن فصل النصب حملا على (كم)الاستفهامية كقوله :

كم نالني منهم فضلا على عدم إذ لا أكاد من الافتقار أحتملُ

وربما ينصب غير مفصول ، فروي (كم عمة لك) بالنصب ، وذكر بعضهم أن النصـــب بلا فصل لغة تميم وذكره سيبويه عن بعض العرب . قال ابو حيان : وهي لغة قليلة [٢٧]

---

[٢٦] علم اللغة ودانيل مايش : ترجمة سهيل عثمان : ٢٢٢ .

[٢٧] ينظر الألسنية التوليدية ، مشبال زكريا : ١٦٤.

وفي تميز (كم) الخبرية ثلاث لهجات : الجر وهي الأفصح والأشهر، والنصب حال الفصل بينهما ، والنصب دون الفصل ، وهي اقل شهرة واستعمالا نسبت لتميم . مفردا وجمعا والافراد أجود وافصح واشهر.[٢٨] ذكر السيوطي في موضع آخر : إن (بني تميم راعوا كذا وان الحجازيين راعوا كذا) هذا الامر هو تصور النحاة لتبرير ما انتهوا إليه من قواعد لأن ابن اللغة يتكلم إنما يتكلم بسليقة دون مراعاة لشيء ما من إعمال أو اهمال أو شبه أو ثقل أو خفة أو غير ذلك مما بتصوره النحاة تبريرا لقواعدهم ومن ثم هذا التصور غير مقبول [٢٩]. وينظر تشومسكي: " إلى اللغة من الداخل، أي مقدرة ابن اللغة على استعمال وفهم لغته"[٣٠] وقد تسنى لتشومسكي أنْ يدرك مراتب تجلي التراكيب اللغوية عبر بيان للمستوى العميق الذي يفرض حتمية انتراسل بين ما يستبطنه التركيب وما يقتظيه سلوك العناصر في انتظامها البنائي الناتج من ائتلاف طبقات المعنى[٣١]. إلا أنه فيما بعد وُفق مع بعض علماء اللغة التحويليين في جعل المعنى أساسا للدراسة اللغوية لاسيما فيما عرف بنظرية العامل والربط الاحالي Government and Binding Theory

---

[٢٨] التوجيه النوي للهجات في همع الهوامع / عادل محمد عبد الرحمن / علي حاتم الحسن : ١٤٥ .

[٢٩] المصدرالسابق : ١٧٥ .

[٣٠] ديوان زهير بشرح ثعلب : ٢٣٤ .

[٣١] مغني اللبيب : ٤ / ٢٢٧-٢٢٨ .

وقد يترتب على هذا الاهتمام في الدلالة أن جعلوا المكون الدلالي مكونا رئيسا في دراسة الجملة فأصبح تشكيل الجملة في النحو التوليدي يتضمن منظومتين من القواعد :

الأولى: هي الأساس الذي تتولد منه البنية العميقة للجملة وهذا ما يعبر عنه بالمولد الدلالي الذي يمنح الجملة معناها.

الثانية : هي المولد التحويلي الذي ينتقل بالبنية العميقة إلى بنية سطحية وهذه بدورها يُعبر عنها بالمولد الصوتي الذي يمنحها اللفظ وهكذا فان توليد جملة كاملة يتضمن المراحل التالية .

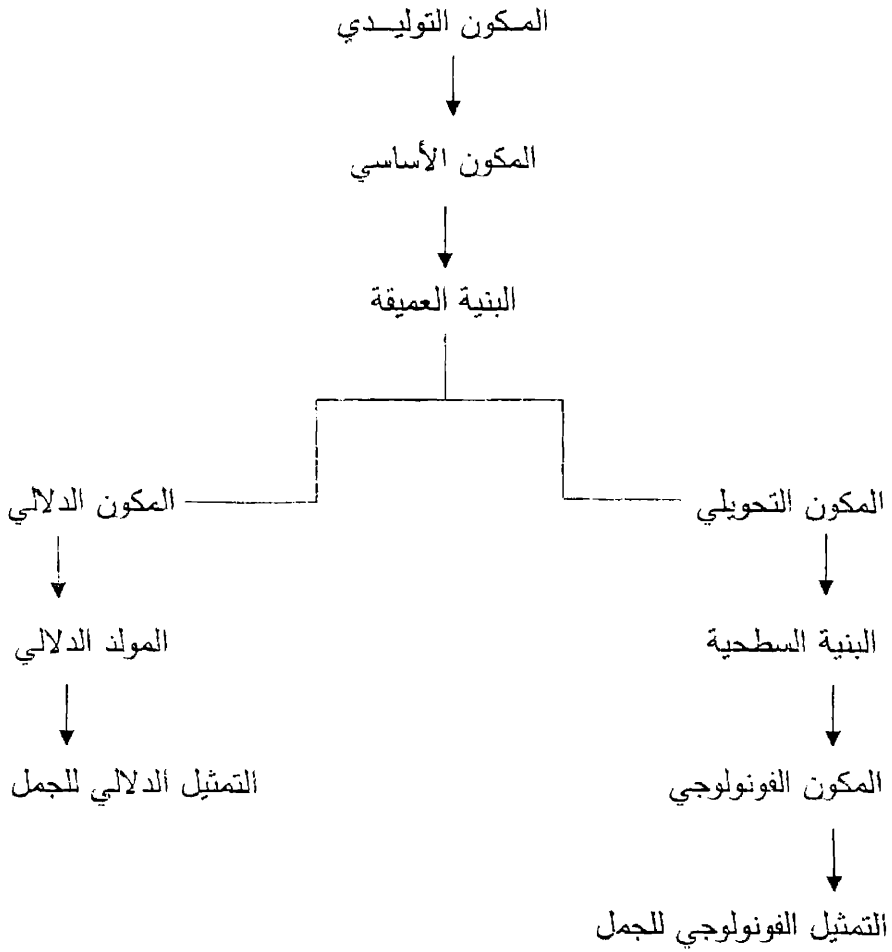

وعلى هذا فمصلح القواعد عند التحويليين يشمل :

١- المستوى الصوتي ٢- المستوى الصرفي ٣- المستوى الدلالي

٤- المستوى النحوي

وقد اشار تشومسكي إلى عناصر التحويل من حيث ترتبُها في البنية العميقة بحسب وظائفها النحوية [٣٢] ، وبذلك يرى التحويليين أنّ البنية العميقة مسؤولة عما يأتي :

١- إنها تكون الأساس بالنسبة للمكوّن الدلالي ، ويتم التفسير الدلالي من طريقها .

٢- تبرز اعتماد مفهوم التحويل ، وذلك أن التحويل عملية ذهنية بين بُنى الجمل العميقة والسطحية

٣- تحدد الوظائف النحوية ، وترتيب عناصر الجملة .

إن مظاهر اهتمام علماء العربية بالجانب الدلالي هو : " أول واجب على المعرب " كما يرى ابن هشام ، وعلى هذا خرّج بيت زهير [٣٣]

تقيّ نقيّ لم يكثـرّ غَنيـمة بنهـكة ذي قُـربى ولا بجـلقدِ

لا يمكن إعراب (بحاقد حتى تعرف معناها ، ويضيف "فنضرناها فإذا هو شيء الخلق ، فقلت : هو معطوف على شيء متوهم إذ المعنى ليس هو بمكثر غنيمة[٣٤] . وقد ذكر السيوطي "ان المعنى والأعراب الشيء الواحد بان يوجد في الكلام ، إن يدعو إلى أمر ، والأعـراب يمنع منه والتمسك به

---

[٣٢] الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ١٨٢ .

[٣٣] معاني القرآن ، الفراء : ٣/١ .

[٣٤] مشكل إعراب القرآن :

صحة المعنى ، ويُؤول لصحة الأعراب " [٣٥] لقد أجمع القراء على ضمّ الدال وكسر اللام من (الله) إلا في الشواذ .

وقد أستدل الفراء بالمعنى على صحة الأعراب في قوله تعالى : (الحمد لله) ومنهم من يقول : (الحمد لله) فيرفع الدال واللام ، فأما من نصب فأنه يقول : الحمدَ ، ليس باسم أنى هو مصدر؛ يجوز لقائله أن يقول : أحمد الله فإذا صلح مكان المصدر (فَعل أو يفعل) جاز فيه النصب ؛ من ذلك قول الله تبارك وتعالى : { فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ } { محمد٤} يصلح مكانها في مثله من الكلام أن يقول : ((فاضربوا الرقاب)) ومن ذلك قوله { قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عندَهُ إِنَّا إِذا لَّظَالِمُونَ } { يوسف٧٩ } يصلح أن نقول في مثله من الكلام: نعوذ بالله، ومنه قول العرب (سقا لك ، ورغبا لك ، سقاك الله ، ورعاك الله) .

وأما من خفض الدال من الحمد ، فأنه قال : هذه الكلمة كثرت على ألسن العرب حتى كالاسم الواحد ، فثقُل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمّة بعدها كسرة ، أو كسرةٌ بعدها ضمّة ووجد الكسرتين تجتمعان في الاسم الواحد مثل إبِل ، فكسروا الدال على المثال من أسمائهم وأما الذين رفعوا اللام فإنهم أرادو المثال الأكثر من اسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمتان ، مثل : الحُلُم والعُقُب . ولا تُنكرنّ ان يجعل الكلمتان كالواحدة إذا كثُربهما الكلام .[٣٦]

---

[٣٥] الألسنية التوليدية : ١٠٨.

[٣٦] الاتجاهات النحوية لدى القدماء : ٥٤ .

وقد اشار صاحب مشكل أعراب القرآن في قوله عزّ وجل : { الْحَمْدُ للّهِ } { الفاتحة:٢ } رفع بالابتداء و(لِلّهِ) الخبر. والابتداء بعامل معنوي غير ملفوظ به وهو خلو الاسم المبتدأ من العوامل اللفظية ويجوز نصبه على المصدر . وكسرت اللام من { الْحَمْدُ للّهِ } { الفاتحة : ٢ } كما كسرت الباء في بسم ؛ العلة واحدة . وقد قال سيبويه : اصل اللام أن تكون مفتوحة بدلالة انفتاحها مع المضمر ، والاضمار يرد الاشياء إلى أصولها ، وإنما كسرت مع الظاهر للفرق بينها وبين اللام التأكيد . قال أبو محمد : وفيها نظر يطول ذكره ، واللام متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه كما كانت الباء في بسم [الله] تقديره : الحمد ثابت لله أو مستقر، وشبهه . ويجوز نصب رب العالمين على النداء أو على المدح . ويجوز رفعه على رب العالمين . فذلك { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } { الفاتحة٤ } يوم الدين ظرف جعل مفعولا على السعة فلذلك أُضيف إليه { مَالِكِ } { الفاتحة : ٤ } وكذلك في قراءة من قرأ : ملك بالألف[٣٧]. وقد اشار الدكتور هادي نهر : إنّ في بعض أوجه الاختلاف في القراءات القرآنية من حيث الحركات الاعرابية أو البنائية يرجع ذلك إلى دور السياق في توجيه القراءات القرآنية ، حيث يكون السّياق بمكّوناته المتعدّدة بما فيها طبيعة المجتمع العربي التي كان عليها وقت نزول القرآن حيث (التعدّد

---

[٣٧] الكتاب : ١/٢٥-٢٦ .

اللهجوي) الذي عليه أكثر القبائل العربية ، وهو أساسا نتاج البيئة الجغرافية التي سكنتها تلك القبائل عزلة ، أو انفتاحا ، ثقافة وأعرافا وتقاليد .[٣٨]

ثانيا- التعليق : يبحث المنهج التحويلي في العلاقات بين مكونات الجملة لأن هذه العلاقات تحدد أصولية الجملة ، والجملة الأصولية هي الجملة الموافقة لقواعد اللغة[٣٩] ومن ثم فالتحويليون يبدؤون بدراسة الجملة انطلاقا من إنها اللغة الأساسية ، وهي عبارة عن إشارات تخلقها(ميكانيكية) القواعد في النموذج التوليدي ، أما ما يتفرع عن هذه الجملة فإنّه يُدرس في نطاقهم ، وهم يفترضون في قواعد اللغة أن تكون جهاز التوليد جميع الجمل الصحيحة [٤٠]

وهذا يذكرنا بما صدر عن سيبويه في تحديد باب الاستقامة في الكلام والإحالة حيث يقول : (فالكلام منه مستقيم حَسَن ، محالٌ، ومُستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب)[٤١]

نلاحظ أن سيبويه في تقسيمه هذا يفكر ضمنيا في التعليق الإسنادي الذي من شأنه أن ينتج جملة أصولية ، وهذا يشير إلى قدرته على ربط الدلالة بالوظائف التركيبية ، فالجملة التي تمثل المستقيم الحسن ، (أتيتك

---

[٣٨] الألسنية التوليدية : ١٠٨، وانظر أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، نايف خرما : ٣٠٠ .

[٣٩] الكتاب :١-٢٥-٢٦ .

[٤٠] الاتجاهات النحوية لدى القدماء : ٢١٠ .

[٤١] معاني القرآن الفراء :٨٣/١ .

أمس) واضح أن مصدر الصحة فيها من ناحيتي التركيب والدلالة معا [٤٢] ولكنه لا يعمد الاستقامة على الاطلاق وإنما يقيدها بمعيارية دلالية تنطوي على ثلاثة أنساق تجعل من الاستقامة قاعدة بنائية تتنوع على محور واحد يجمعها ، فنكون من باب التنوع المختلف المفضي إلى توحد مؤتلف . وتبدي قاعده : "المستقيم الحسن" مستويات الإنجاز اللغويّ في أداء المعنى المراد وتفرض نظاما يقتضي تحقيق البنى التركيبية للمعنى الدلالي الذي تنعقد عليه.[٤٣]

فمثاله عنده عند الفرّاء في قوله تبارك وتعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا } { البقرة : ١٤٣ } يعني عدلا { لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ } {١٤٣} يقال : إن كل نبيّ يأتي يوم القيامة فتقول أمته : لا فيكذّبون الأنبياء . ثم يجاء بأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) فيصدّقون الأنبياء ونبيهم ، ثم يأتي النبيّ صلى الله عليه وسلم فيصدّق أمته ، فذلك قوله تبارك وتعالى : قال تعالى : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم { لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا } {البقرة : ١٤٣} . ومنه قوله تعالى: { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدا } { النساء ٤١ }[٤٤] وقد مسّ ابن جني هذه الظاهرة مسّا ذكيا ، ينطلق فيه من تصور يتمثل في وعي الإنسان بأهمية اللغة المعبرة عن المعاني في وجوده بوصفه إنسانا ، بتصوره لطريقة العرب في وضع لغتهم "وذلك أنهم وزنوا

---

[٤٢] تشومسكي والثورة اللغوية ، مقالة في مجلة الفكر العدد (٨-٩) :١٣٢ .

[٤٣] الاتجاهات النحوية لدى القدماء :٢١٠ .

[٤٤] نظرية التوليد والتحويل بين الفكرة الكامنة والأداء اللغوي / عبد الله عنبر : ٤١٧ .

أحوالهم وعرفوا مصاير أمورهم ، فعلموا أنّهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني ، وأنها لابُدّ لها من أسماء وأفعال والحروف ، فلا عليهم بأيها بدأوا ، بالاسم أم بالفعل أو بالحرف ، لأنهم قد أوجبوا على أنفسهم ، أن يأتوا بهن جُمع إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهم[٤٥] . أما "المحال الكذب" فمثاله عند سيبويه ، فهو إغراق في التنافر المؤدي إلى درجة غير معقوله تقضي غياب التناسق الدلالي ، مما يجعل البنية التركيبية لا تخدم بعدا دلاليا ويمثل سيبويه المحال الكذب بقوله (حملت الجبل أو شربت البحر ماء) [٤٦] ومن الواضح أن هاتين الجملتين صحيحتان من ناحية التركيب ، فالجملة الأولى مثلا تتكون

المسند + المسند إليه + المفعول به = جملة صحيحة

ولكنهما غير صحيحتين من حيث الدلالة[٤٧] يرى الدكتور العياشي " إن النظام اللغوي يسمح بإنتاج جمل تمتلك قدرة لا نهائية للتواصل في السلسة الكلامية ، تتطابق مع مقدار حاجة المتكلم للتعبير عن مقصدهُ [٤٨] . فالفراء في تفسير قوله تعالى : { فَقَلِيلا مَّا يُؤْمِنُونَ } {البقرة ٨٨} يقول القائل : هل كان لهم قليل من الإيمان أو كثير ؟ فيه وجهان من العربية أحدها – الآ يكونوا آمنوا قليلا ولا كثيرا ، ومثله مما تقوله العرب على القلة على أن ينفوا الفعل كله قلّما رأيت مثل هذا قط وحكى الكسائي عن العرب : مررت

---

[٤٥] معاني القران ، الفراء : ١/٧٥ .

[٤٦] اللسانية التوليدية والتحويلية عادل فاخوري : ٢٠ .

[٤٧] المقتضب : ٤ /١٥٨ .

[٤٨] المصدر السابق ٤ /١٥٨ .

بلاد قل ما تنبت إلا البصل والكراث ، أي ما تنبت إلا هذين وكذلك قول العرب : ما أكاد ابر منزلي ، وليس يبرحهُ وقد يكون يبرحه قليلا والوجه الآخر – أن يكونوا يصدقون بالشيء قليلا و يكفرون ما سواه : بالنبي (صلى الله عليه وسلم) . وآيات الله فذلك قوله { فَقَلِيلا مَّا يُؤْمِنُونَ } { البقرة ٨٨ } وكذلك المفسرون في قوله تعالى : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ } { يوسف١٠٦} .[٤٩]

الجملة البسيطة والمركبة : لقيت الألسنية الحديثة صعوبةً كبيرة في تحديد مفهوم الجملة ؛ وهذه الصعوبة لم تنشأ من فراغ ، وإنّما نجمت عن طبيعة الثقافة اللغوية التي كانت في حوزة الألسنيين الأوربيين ؛ فقد كانت تكتظ بالعديد من التعريفات المتناقضة للجملة ، وقد أوصلها بعضهم إلى (١٤٠) مائة وأربعين تعريفًا[٥٠] أشار دي سوسير إلى أن الجملة نظام من أنظمة التراكيب أثارت انتباه البنيويين الأوربيين وخاصة – مدرسة جنيف – ودفعتهم إلى البحث عن سبب نظام التركيب بدلا من البحث عن مفهوم الجملة[٥١]. وهذه هي الأسس التي كان الألسنيون المعاصرون يراعونها عند تعريفهم الجملة ، وهكذا استمر الأمر عندهم إلى ظهور المدرسة التحويلية ، فقد اعتمت في تعريفها للجملة على أساس جديد ؛ وهو توليد العبارات والتحويلات ؛ فالجملة عندهم : «مجموعة من العبارات[٥٢] تخلقها ميكانيكية

---

[٤٩] المصدر السابق ٤/ ١٥٩ .

[٥٠] مدخل إلى دراسة الجملة / الدكتور محمود نحلة :١١ .

[٥١] المصدر السابق :١١ ، وينظر اللسانيات الحديثة / الدكتور سامي :١٣ .

[٥٢] ونسب هذه التعريفات إلى يسبرسن Jespersen .

القواعد [٥٣] في النموذج التوليدي [٥٤] ترتبط نشأة هذا المنهج بالمدرسة اللغوية الأمريكية ، وبرائدها المشهور بلو فيلد ؛ وذلك حين قام بتحليل بعض الجمل في كتابه المشهور "Language" إلى مكوناتها (عناصرها) المباشرة [٥٥]. فعرف تشومسكي اللغة : (اللغة مجموعة من الجمل ، كل جملة محدودة من حيث الطول ، وتتركب من مجموعة محدودة من العناصر). وقد بين تشومسكي أن كلا من البنيوية والقواعد التقليدية لم تتجاوز مرحلة التصنيف ، فبقيت سطحية . ورأى أن الوصف البنيوي للجمل ينبغي أن يوضح كيف تفهم هذه الجملة من قبل ابن اللغة المثالي . فانتقل بذلك من الوصف والتصنيف إلى التفسير مؤكدا على أن المهمة الجوهرية للبحث اللساني ليست وصف العينات فقط ، إنما تفسير حقائق اللغة بتكوين شكل لما تضمنته معرفة اللغة [٥٦]

ومثاله في النحو العربي ، لم يستعمل سيبويه ولا النحاة من قبله مصطلح "الجملة"، لكنه استخدم مصطلح "الكلام" للتعبير عن موضوعات نحوية متعدد منها ما يتحد بمفهوم "الجملة"[٥٧]. استمرّ النحاة من بعد سيبويه في عدم استخدام مصطلح "الجملة" إلى أن وصل المبّرد كان أوّل من

---

[٥٣] (يقصد بها المركبات كالمركب الاسمي والمركب الفعلي ، ويطلق عليه البعض العبارة الاسمية والعبارة الفعلية عند المنهج التحولي) .

[٥٤] مدخل إلى الجملة العربية / الدكتور أحمد نحلة : ٢٧-٢٨ .

[٥٥] المصدر نفسة : ١/ ٩ .

[٥٦] معرفة اللغة عند تشومسكي :

[٥٧] ينظر إلى مدخل دراسة الجملة العربية / الدكتور محمود نحلة : ١٩.

استخدم هذا المصطلح[٥٨] ؛ حين قال في المقتضب : « وإنّما كان الفاعل رفعًا ؛ لأنه هو والفعل جملةٌ يحسن السكوت عليها ، وتجب بها الفائدة للمخاطب»[٥٩] لكنه استخـــدم مع ذلك مصطلح "الكلام" للدلالة على معنى الجملة – كما كان عند سيبويه – ؛ إذ قال : « فالكلام كلّه اسم وفعل وحرف جاء لمعنى لا يخلو الكلام عربيًا كان أو عجميًا »[٦٠] . وقد تبعه في استخـــدام مصطلـــح "الجملة" تلميذه ابن السرّاج ؛ وذلك في كتابه الأصول عند تقسيمه الجملة إلى قسمين حيـــث قال : « والجمل المفيدة على ضربين ؛ إمّا فعل وفاعل ، وإمّا مبتدأ وخبر»[٦١] وعلى وأمّا نحاة الكوفة فإنهم بقوا على منهج سيبويه في ذلك مستخدمين " الكلام " للدلالة على مفهوم الجملة ؛ كما يظهر ذلك عند الفراء حين قال : « وقد وقع الفعل في أوّل الكلام » يقصد في أوّل الجملة[٦٢] ؛ هي الجملة الفعلية[٦٣]، وهكذا في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه معاني القرآن[٦٤] وقد عبر الفراء عن ذلك بقوله في معنـــى قولـــه تعالى: { وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ } { النساء ١٦٤} نصبه من جهتين . يكون من قولك : كما أوحينا إلى رسل من قبلك ، فإذا حذف (إلى) والإرسال اتصلت بالفعل فكانت

---

[٥٨] المصدر نفسه : ١٩ .

[٥٩] المقتضب /المبرّد : ١٤٦/١ .

[٦٠] المصدر نفسه : ١٤٦/١ .

[٦١] معاني القرآن الفراء : ١٠/٢ .

[٦٢] الاصول / ابن السراج : ٧٠/١ .

[٦٣] نظرية التوليد والتحويل بين القدرة الكامنة والأداء اللغوي / عبد بن عنبر ٤١ .

[٦٤] الكتاب : ١٢٣/٢ .

نصـــبا ؛ كـــقوله { يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابا أَلِيما } الإنسان ٣١ : ويكون نصبا من(قصصناهم).[٦٥]

الجمـــل الملتبســـة : كـان مـن المآخذ التـي وجهّـا التحويليـون الـى أصـحاب المـنهج الوصـفي عـدم القـدرة علـى تفسـير الجمـل الملتبسـة وذلـك نحـــو: (الرجـال والأولاد الأقويـاء) وجملـة (نقـد زيـد نقـد مسـموع) وذلـك بالإشـارة إلـى أن أمثـال هذه الجمـل يحتمل أكثـر من معنـى ، ففـي الجمـلة الأولـى قـد يكـون المقصـود نسبـــة القـــوة إلـى الرجـال والأولاد جميعـا وقـد يكون نسبة القوة إلى الأولاد فقـــط ، وفي الجملة الثانية قد يكون النقد موجها إلى زيد وقد يكون موجها من زيد . وقد حاول التحويليون تفسير هذه الجمل بردّها إلى بنيتين عميقتين متغايرتين ومن ثم مثّلوا لها بمشجرين مختلفين هما للجملة الأولى :

ـــــــــ الأقوياء الرجال ـــــــــــــــ

ـــــــــــــ الأولاد و ـــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــ و الأولاد ـــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــ الرجال الأقوياء ـــــــــــــــــــ

ومن الواضح أن المشجر الأول ، القوة منسوبة فيه إلى الرجال والأولاد والمشجر الثاني **يشير إلى** أن القوة منسوبة فيه إلى الأولاد فقط .[٦٦] وقد

---

[٦٥] الخصائص ٢/ ٤٩٤ .

[٦٦] الكتاب : ٢/ ٣٤ .

أشار نحاة العربية إلى هذه المواضع وما شبهها ، وصدروا عن تمثيل عميق لمعاني هذه الجمل عند تحليلها جاء في (المغني) : " من الجمل ما يحتمل الانشائية والخبرية فيختلف الحكم باختلاف التقدير وله امثلة منها قوله تعالى : { قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا } { المائدة :٢٣ } فأنَّ جملة (انعمَ اللهُ عليهما) تحتمل الدعاء فتكون معترضة والاخبار فتكون صفة ثانية [٦٧]

وعلى هذا خرّج الفراء الآية في قوله تعالى : { أَمْرا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ } { البقرة : ١١٧} رفعا ولا يكون نصبا ، إنما مروده على(يقول) [فإنما يقول فيكون] وكذلك قوله : { وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ } { الأنعام : ٧٣ } رفع لا غير. وأمّا التي في النحل: { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ } { النحل :٤٠} فإنها نصبٌ ، وكذلك في (الآية) نصبٌ ؛ لإنّها مردودة على فعل قد نُصب بأن ، وأكثر القرّاء على رفعها . والرفع صوابٌ ، وذلك أن تجعل الكلام مكتفيا عند قوله : { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ } { النحل :٤٠} فقد تم الكلام ، ثم قال : فتكون ما أراد الله . وأنه لأحبُّ الوجهين إليّ ، وإن كان الكسائيّ لايُجيز الرفع فيهما ويذهبُ إلى النسق [٦٨] . إنَّ الدراسة اللغوية عند تشومسكي هو (المعرفة) التي يمتلكها ابن اللغة ، التي تمكنه من انتاج

---

[٦٧] الكتاب : ١١٩/١ .

[٦٨] دلائل الإعجاز : ٣١١ .

الجمل وفهمها . وهذه المعرفة تسمى (القدرة) وهي تلك المسؤولة عن بناء الجمل وتركيبها في لغته ، فتتكون لديه القدرة على توليد الجمل وبنائها [٦٩]

توحد المعنى وتعدد المبنى : وقد حاول التحويليون تفسير الجمل التي تبدو متشابهة في بنيتها الظاهرة إلا أنها تؤدي معاني مختلفة ، وذلك نحو : زيد كبير الرأس ، وزيد كبير الاخوة ، ودُفع المال من زيد ، وذلك بردّها إلى بنى عميقة مختلفة ، فمثلا الجملة الأولى يمكن تحويلها إلى (الرأس زيد كبير) دون أن يتغير المعنى بينما لايصح ذلك في الجملة الثانية إذ في الجملة الثانية (أخوة زيد كبار) لا تساوي في المعنى (زيد كبير الأخوة) وكذلك فأن الجملة دُفع المال من زيد إلى البنية العميقة ((دُفع زيد المال)) ربما يتنافى ذلك في الجملتين[٧٠] .

قال المبرّد : "اعلم هذه الصفة إنما حدها أن تقول : هذا رجلٌ حسنٌ وجهُهُ ، كثير مالهُ فترفع ما بعد(حسن) و(كثر) ، بفعلهما ، لأن الحُسْن إنما هو للوَجْه والكَثْرة إنما هي للماء"[٧١] . وقال : هذا رجلٌ حَسنُ الوجه [٧٢] وقد أشار المبرّد إلا أنّ علة استعمال الصيغة الثانية (زيد عريض الجبين) من قبيل الخفة[٧٣]. وفي الجملة الثانية نلاحظ أن الخبر يحتمل ضميرا (فاعلا) عائدا على المبتدأ (جبين) وكذلك الجملة الثالثة . ويتضح هذا

---

[٦٩] الكشاف ٣ / ١٥٨ .

[٧٠] معاني القرآن ، الفراء : ٢/٢٨٦ .

[٧١] من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس :٣٣٣ .

[٧٢] الكتاب ١/ ٢٩٤ .

[٧٣] السابق ١/١٢٩ .

المفهوم لديهم عن طريق تقليبهم لظاهرة تقدم التميز إذا العامل فعلا متصرفا فقد ربطوا بين الجملتين من نحو : تصبب زيدٌ عرقا ، وتصبب عرقُ زيد وعلى هذا الأساس الدلالي رفض معظم البصريين تَقدُم المميز عليه ، إذ لايجوز أن تقول "عرقا تصبب زيد " وذلك لأنه الفاعل في المعنى ، فالمتصبب هو العرق وليس" زيدا " بينما أجازوا ذلك في الحال ،إذ يجوز أن تقول : (جاء زيد راكبا، وراكبا جاء زيد) فزيد هو الفاعل لفظا ومعنى ، وإذا استوفى الفعل فاعله من جهة اللفظ والمعنى صار" راكبا "، بمنزلة المفعول المختص لاستيفاء الفعل فاعله فجاز تقد [٧٤] وكذلك فقد أدركوا الفرق بين بعض الجمل المتشابهة في التركيب ، إلا أنها مختلفة في الدلالة ، وذلك نحو تميزهم بين الجملتين : امتلأ الإناء ماءً و: تصبب زيدٌ عرقا وذلك بتحلل التركيبتين ، ففي التركيب الأول لا يجوز أن تقول "امتلأ ماء الإناء ،وذلك لأنه فاعل في الحقيقة بينما يستطيع القول : " تصبب عَرقُ زيدٍ "وذلك لأن (زيد) ليس فاعلا في الحقيقة [٧٥] وقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا } {البقرة٢٦} البقرة **قال الفراء** : أما نصبهم (البعوضة) فيكون على ثلاثة أوجه أولها : أن يُوقع الضّرب **على** البعوضة ، وتجعل" ما " صلةٌ كقولهِ : { قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ } {المؤمنون٤٠} [يريد عن قليل] المعنى – والله أعلم – أنا الله لا يستحي أن يضرب بعوضة فما فوقها مثلا . والوجه الآخر : أن تجعل "ما" أسما والبعوضة صلة فتعربها بتعريب" ما " وذلك

---

[٧٤] شرح الكافية ، الاستراباذي ١٢٩/١ .

[٧٥] دلائل الإعجاز :١١٢ .

جائز في "من" و "ما" فيكونا معرفة في حال ونكرة في حال كما قال حسان بن ثابت :

فَكَفَى بِنا فَضْلا علَى مَنْ غَيْرِنا حُـبُّ النبيء مُـحَمّدٍ إيانا

قال الفَراء : يروى : "على مَنْ غَيرُنا " والرفع في "بعوضة " ها هنا جائز لأن الصلة تُرفع ، وأسمها منصوب ومخفوض . وأما الوجه الثالث – فأن تجعل المعنى على : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بين بعوضة إلى ما فوقها . والعرب إذا ألقتْ " بين " من كلام تصلُح "إلى" في آخرة نصبوا الحرفين المخفوضين اللذين خفض أحدهما ب"بين "والآخر ب"إلى" فقولون : مُطْرنا ما زُبالة فالثَّعْلبية[٧٦] ، وله عشرون ما ناقةً فجملا ، وهي أحسن النّاس ما قَرْنا فقدم [٧٧] . قال الكسائيّ : سمعت أعرابيا رأى الهلال فقال : الحمد لله ما هلالك إلى أسرارك ، يريد ما بين إهلالك إلى أسرارك ، فجعلوا النصب الذي كان يكون في" بين " فيما بعد إذا سقطت إليعم إن معنى بين مراد [٧٨]. من عناصر التحويل

التقديم والتأخير : عدّ التحوليون الترتيب عنصرا من عناصر التحويل في الجملة ويتم ذلك بإحلال عنصر مكان عنصرا آخر فيها ، ويمكن التعبير عن هذا العنصر رياضيا بالشكل الآتي :

أ + ب ـــــــــ ب + أ

---

[٧٦] الكتاب : ٢/ ٣٩١ .

[٧٧] معاني القرآن ، الفراء : ٦٣/٢ .

[٧٨] الكتاب : ١/ ١٢٨ .

وهذا يشير إلى الأثر الدلالي الذي يحدثه هذا النوع من التحويل . وقد أعتنى نحاة العربية بهذه الظاهرة ، ودرسوا أثرها من ناحية تركيبة ودلالية فقد أشاروا إلى أن التقديم والتأخير، قد يؤدي إلى انتقال الكلمة من حالة إعرابية إلى حالة إعرابية أخرى[٧٩] . لعل سيبويه أول من وجه الانتباه إلى أهمية التقديم والتأخير وبين غرضه البلاغي ، فهو يقرر أنّ التقديم ضرب من العناية والاهتمام : "" كأنهم إنما يقدمون بيانه أهم لهم ، وهم بيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم" [٨٠] وهذا يبدي أنَّ الكلمات بنى معرفية تحمل مواقع تؤلف النموذج اللغوي الموافق للمعنى ، وأنَّ تغيّر الرتبة يرمي إلى تكوين علاقات جديدة تجعل الدلالة تقام على نسبة العلاقة بين عناصر التركيب[٨١]. وجاءت نظرة عبد القاهر الجرجاني لتمد في أفاق نظرة سيبويه في بيان اسرار التقديم والتأخير وإظهار محاسنه ، ولك في قوله " هو باب كثير الفوائد جم المحاسن ، جمّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لايزال يفتر لك عن بديعه ويفضي بك إلى لطيفه ، ولاتزال ترى سعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان " [٨٢] وقد نفذ عبد القاهر الجرجاني من خلال ملاحظته لترتيب الجملة إلى إدراك البنية العميقة لها (الأصل) ، ولحظ ما يترتب على ذلك من أثر

---

[٧٩] الأصول في النحو (أبن السراج) : ٢/ ٢٦٥ .

[٨٠] الكتاب / سيبويه /١/ ٣٤ .

[٨١] نظرية التوليد والتحويل بين الفكرة الكامنة والأداء اللغوي / عبد الله عنبر :٤١٤ .

[٨٢] دلائل الاعجاز : ٨٣ .

في الدلالة ، مثال ذلك ، أنه توقف عند الآية الكريمة : { وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبا } { مريم٤ } فقال :" فإنه لو كان اللفظ واشتعل شيب الرأس " أو " واشتعل الشيب في الرأس " ، على الأصل ، لم يفد ما أفاده الأول من معاني الشيب الذي يفد الشمول والشيوع والاستقرار ، حتى لم يبق شيء من سواده . وبذلك فقد حثّ الجرجاني على العناية بظاهرة التقديم والتأخير [٨٣]

وقد أهتم المفسرون بالتقديم والتأخير في الجملة اهتماما كبيرا ، فميّزوا من خلاله بين الآيات التي تبدو على قدر كبير من التشابه ، وذلك نحو تميز الزمخشري بين الآيتين الكريمتين : { لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } { النمل٦٨ } { لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } { المؤمنون٨٣ } وذلك بقوله :" فإن قلت : قدَّم في هذه الآية (هذا) ... قلت : التقديم ، دليل على أن المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر ، وأن الكلام إنما سبق لأجله ، ففي إحدى الآيتين دليل على أن أتخاذ البعث هو الذي تُعُمِّد بالكلام ، وفي الأخرى على أن أتخاذ المبعوث بذلك الصدد " [٨٤]

أشار الفراء في قوله عزّ وجل : {هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } {النمل٢} ، رفع وإن شئت نصبت . النصب على القطع (يريد النصب على الحال) ، والرفع على الاستئناف . ومثله في البقرة : { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } {البقرة٢} : وفي

---

[٨٣] المصدر نفسه : ١١٢ .

[٨٤] الكشاف / الزمخشري :

لقمان {هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ } { لقمان٣ } [٨٥] ومن هنا يتضح لنا أن التقديم والتأخير يتعلق أساسا بطبيعة اللغة التي يتم فيها ؛ إذ ليست امكانات اللغات في ذلك على حد سواء فحرية التصرف في اللغة العربية ليست على اطلاقها ، بل إنَّ هناك ما يحدها ، وآية ذلك ما نراه عند اهل العربية من تقسيمهم لرتبة الكلمة إلى قسمين : رتبة محفوظة يجب فيها تقديم جزء من الجملة على جزء آخر ، أو رتبة غير محفوظة تعبر عن حرية جزء الجملة أو الباب النحوي في موقعه من حيث التقديم والتأخير [٨٦] عنصر من العناصر التي يمكن أن تطرأ على التركيب ، فيكون له أثر واضح في الدلالة ، فالألفاظ تنظم على الوجه الذي يقرره المعنى الكلي الذي تتلاقى عليه عناصر النسق ، ومقتضى هذا التناسق ما يرتضيه العقل في بناء المعنى فقيادة البنى التركيبة في يد المعنى الذي يهيمن على الالفاظ التي تناسبه مثل في الآيات القرآنية الاتية : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {الفاتحة٥} { فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } {العنكبوت٥٦} { كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } {العنكبوت٤٠} : { وخُذُوهُ فَغُلُّوهُ {٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ {٣١} } { الحاقة } وبهذا يتضح انَّ : "عملية تأليف الجمل تنظمها رتب تختلف في اللغة الواحدة ، وتختلف من لغة إلى لغة ، إلا أنَّ تغيرات الرتبة في اللغة الواحدة او في اللغات المختلفة ليس اعتباطية أو غير محددة بل هناك ما يدل على وجود قيود على رتب المكونات الكبرى داخل الجمل (من فعل وفاعل ومفعول ...) أو رتب مكونات اصغر داخل المركّبات الاسمّية أو الحرفية أو

---

[٨٥] معاني القرآن ، الفراء : ٤/ ٥٩ .

[٨٦] اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية) / عبد القاهر الفهري : ٨٣ .

الفعلية ومن أهداف النظرية اللسانية أنَّ كفايتها ليست مرهونة فقط بتخصيص ووصف ما يلاحظ من ظواهر الرتيبة ، بل بحصر مالا يمكن أنَّ يلاحظ منها [٨٧] ويؤيد هذا المنحى عبد القاهر الجرجاني بقوله : "الفائدة في معرفة هذا الفرق أنَّك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاؤه العقل"[٨٨]

الحذف : الحذف عنصر من عناصر التحويل التي تتحول البنية العميقة خلالها إلى بنية سطحية ذات دلالة خاصة

وقد عرف النحاة العرب ظاهرة الحذف في اللغة ، وحاولوا الوقوف على أسبابها فذكروا أنّ الحذف قد يكون لكثرة الاستعمال ، في المسموع ، وذلك نحو : حذف الفعل بعد (أما) وذلك "لأنه من المضمر المتروك إظهاره ... لأن أما كثرت في كلامهم ، واستعملت حتى صارت كالمثل المستعمل " [٨٩]

وقد أشاروا إلى كثرة الاستعمال في المسموع ، وذلك " كقولهم : أمر ونفسه ، أي : وجوب الحذف أي كثرة الاستعمال " [٩٠]

---

[٨٧] المصدر نفسه : ٨٣ .

[٨٨] دلائل الإعجاز :٤٠ .

[٨٩] الكتاب ٢/٢٣٩ .

[٩٠] المصدر السابق : ٢/٢٤٨ .

وكذلك قد يقع الحذف لوجود قرينة دالة على تعين المحذوف ، وهذه القرينة " قد تكون لفظية ، كما إذا قال شخص من أضرب ؟ فتقول : زيدا ، وقد تكون حالية ، كما إذا رأيت شخصا في يده خشبة ، قاصدا لضرب شخص فتقول : زيدا" [٩١]

وهذا يدل دلالة واضحة على النحاة كانوا يهتمون بالموقف الكلامي بكل عناصره ، في مثل هذه الحالات إلاّ دليل على بلاغة المتكلم ، الذي يرى أنّ "ترك الذكر أفصح من الذكر " [٩٢]

وفي إشارة إلى أن الإيجاز هدف من أهداف الحذف ، ومن ذلك قولهم : من كذّب كان شرا له ، يريد : إلا أنه استغنى بأن المخاطب قد علم أنه الكذب لقوله : الكذب في أول حديثه " [٩٣]

وإلى مثل هذا أشار الفراء في تفسيره لقوله تعالى { وَلَوْ أَنَّ قُرْآنا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ جَمِيعا { الرعد ٣١ } : قال : لم يأتي بعد الجواب لـ (لو) ، فإن شئنا جعلنا جوابها متروكا ، لأن أمره معلوم ، والعرب تحذف الشيء ، إذا كان معلوما ، إرادة الإيجاز .[٩٤]

وقد أشاروا إلى أن الحذف قد يكون بسبب ارتباط الحديث بالحواس الخمس ، قال سيبويه" أنك إذا رأيت صورة شخص فصار آية لك على

---

[٩١] النحو العربي والدرس الحديث ، عبده الراجحي : ٥٤ .

[٩٢] مغني اللبيب ١/ ص٣١٥ .

[٩٣] في النحو العربي نقد وتوجه ، مهدي المخزومي : ٧٦ .

[٩٤] الإعراب في قواعد الإعراب : ١٥٧ .

معرفة فقلت : عبد الله وربي كأنّك قلت : ذاك عبد الله ، أو هذا عبد الله ، أو سمعتُ صوتا فعرفتَ صاحب الصوت ، فصار آية لك مع معرفته ، فقلت : زيد وربي ، مَسَسْت جَسَدا أو شَمَمت ريحا فقلت : زيد أو المسك ، أو ذقت طعاما ، فقلت : العسل " [٩٥]

وقد أشاروا إلى أنّ الحذف قد للاتساع وذلك نحو حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى : { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ } { يوسف ٨٢ } وقول العرب بنو فلان يطؤهُمُ الطريق ، يريدون أهل الطريق . [٩٦]

وهكذا فقد كان النحاة العرب على وعي بكثير من مسالك الحذف وما يترتب عليه من مسالك الحذف وما يترتب عليه من تغير في الدلالة ،مما يعدّونه " بابا دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر " [٩٧]

التضييق : أن التضييق من أنماط التحويل في النهج التحويلي يتم بحذف عنصر من عناصر التركيب ، متضمن في العنصر الباقي .

ويكمن تفسير حذف ياء الإضافة إلى المتكلم والتعويض عنها بالكسرة مثلا ، على أنه نمط من أنماط التحويل بالتضييق ، ذلك أن إبقاء الكسرة دالا على الياء ، فالياء محذوفة متضمنة في العنصر الباقي منها ، وفي ذلك أشار الفراء في نحو قوله تعالى { يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ

---

[٩٥] شرح الكافية لأبن الحاجب ٢/ ٣٨ .

[٩٦] أصول النحو ، أبن السراج ٦٨/١ .

[٩٧] معاني القرآن ، الفراء ١/ ٦٨ .

تَحْزَنُونَ } { الزخرف ٦٨ } وهي في قراءة أهل المدينة : (ياعبادي) بإثبات الياء ، والكلام وقراءة العوام حذف الياء . [٩٨]

ويمكن تفسير الترخيم أيضا على أنه من أنماط التحويل بالتضييق وذلك لأنه بالترخيم يتم "حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفا " [٩٩]

ويمكن بواسطة التضييق تفسير وجود أسماء خاصة بالنداء وذلك نحو "قل " "وفلة "بدلا من فلان وفلانة [١٠٠] إذا ما بقي من الاسم بعد الحذف دال عليه .

الزيادة : الزيادة عنصر من عناصر التحويل في المنهج التحويلي ، ويقصد بها زيادة في المنطوق على نظيره في العميقة .

فالتحويليون يشيرون إلى (أن هناك تركيبات نظمية تدخل فيها كلمات لا تدل على معنى في العمق ، ولكنها تظهر في البنية السطحية ، مع حدوث دلالة جديدة لها : " كزيادة أول الهمزة في الجملة فتنقلها إلى إفادة معنى الاستفهام وذلك نحو : هل ضرب زيد عمرا . فالبنية العميقة لهذا الجملة تتكون من : ضرب زيد عمرا

مسند (م) + مسند إليه (م أ) + فضلة (ف) .

ثم دخلت الأداة (أد) ، و(هل) فأصبح التركيب يفيد الاستفهام. ومعنى ذلك أن : التركيب ألاستفهامي= استفهام تصديقي + التركيب

---

[٩٨] الكتاب : ٢/ ٢٤٨ .

[٩٩] أصول النحو ، أبن السراج : ٢/٢٣٩ .

[١٠٠] معاني القرآن ، الفراء : ٣/ ٢٦٠ .

الأساسي . ومعلوم أن الهمزة للتصديق الإيجابي والسلبي ، بينما هل تستعمل للتصديق الإيجابي فقط . (٦٣) وتلتقي نحاة العربية في تصورهم لباب الاستفهام مع المنهج التحويلي ذلك أنهم عدّوا (هل والهمزة) ، أداتين تفيدان . الاستفهام التصديقي ، ويجوز حذفهما من التركيب ، ويمكن أن يقوم التنغيم مقامهما ، وذلك كما في قول عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا : تُحبها ؟ قلت : بهرا عدد الرمل والحصى والتراب

قال أن هشام " أراد أتحبها ؟ فحذف الاستفهام[١٠١]. وعلى هذا يمكن أن ندرس مفهوم الزيادة بوجه عام بأنه ما زاد على النظير في البنية العميقة ، وليس لأنه لا قيمة له في المعنى ، أو لأنه تسمية مبعثها تأثّر النحاة بالمنطق كما ذهب بعض الباحثين ، يقول مهدي المخزومي في سياق تعليقه على المفهوم العمدة والفضلة : " إن الذي دفع النحاة إلى هذا التصور هو عرفانهم بالقضية المنطقية المؤلفة من موضوع ومحمول ، وهما عُمدة القضية وركناها ، زائد إن شئت عنه . [١٠٢]

ومن منظور التحويلي أيضا يمكن أن نفهم معنى الحروف الزائدة ، ولعلها من أكثر المفاهيم التي تعرضت لشيء من الاضطراب في التسمية عند القدماء ، فمنهم من سماها حروف الصلة ، وهي ثمانية (أن ، إن ، ما ، لا، من ، الباء ، اللام ، الكاف) (٦٦) وذلك لأنه يتوصل إلى الفصاحة ، أو إلى إقامة وزن أو سجع أو غير ذلك ،" ومنهم من سماها

---

[١٠١] الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية : ٤٤ .

[١٠٢] معاني القرآن ، الفراء ٣/٦٩ .

حروف زيادة " لأنه لا يتغير بها المعنى ، بل لا يزيد " لأنه لا يتغير بها أصل المعنى ، بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت و تقويته ".[١٠٣]

وقد وضعوا لها معيارا يدل عليها ، وهو دخولها كخروجها (٦٨) ولعل المقصود بزيادتها ، هو من ناحية تركيبية ، وهذا يبدو جليا من المنظور تحويلي ، إذ بحث التحويليون عن الجزء الأساسي أو المركزي في الجملة Kernel sentence ثم بدوءا بعد ذلك بحث ما يطرأ على هذا التركيب من خلال قواعد أو عناصر التحويل من ترتيب وحذف وتضيق وزيادة وإحلال .

وعلى هذا فأن زيادة (من) في الآية الكريمة { هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ } { التوبة ١٢٧} إنّ أشاره الفراء إلى ذلك بقوله فيما ذكرهم وعيبهم قال بعضهم لبعض (هل يراكم من احد لأن متم ، فأن لهي أيام أقاموا .[١٠٤]

هي زيادة على النظير القرآني فالجملة النواة للآية الكريمة هي يراكم أحد . ثم بعد ذلك حدث تحويل بزيادة هل . نقل إلى البنية العميقة إلى بنية سطحية استفهامية ، فأصبحت هل يراكم أحد " ثم حدثت زيادة وذلك بغرض التوكيد ، فأصبحت : هل يراكم من أحد " [١٠٥]

التوسعة Expansion : التوسعة نمط من أنماط التحويل ، وهي تتمثل جعل مجال عنصر من عناصر الجملة أكثر اتساعا مما كان عليه

---

[١٠٣] الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية : ٤١ .

[١٠٤] الاتجاهات النحوية لدى القدماء :٣٢٥ .

[١٠٥] الكتاب :٢٤٨/٢ .

قبل التحويل . ويمكن تلقي هذه القاعدة الضوء على بعض التراكيب في العربية ، وذلك نحو : وجود أكثر من أداة نداء للمنادى . : ما ورد في قول الشاعر :

أيا راكبا إمّا عرضت فبلّغن ندماي من نجْران أن لا تلاقيا

فقد اجتمعت "الهمزة والياء " وذلك من باب التوسعة للتأكيد .[١٠٦]، وكذلك نحو وجود أكثر من أداة { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ } {الفجر٢٧} أشار الفراء أشار الفراء إلى ذلك بقوله : بالإيمان والمصدّقة بالثواب والبعث قال تعالى : { ارْجِعِي } { الفجر٢٨} تقول الملائكة إذا أعطوا كتبهم بأيمانهم قال تعالى : { ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ } {الفجر ٢٨} إلى ماعدا ذلك من الثواب .[١٠٧]

ومن التوسعة أيضا ما ورد في باب الاستفهام في قوله تعالى { قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ } {يونس٧٧} أشار الفراء إلى البنية العميقة تتضمن جمل توليدية بقوله : " يقول القائل : كيف أدخل ألف الاستفهام في قوله (أسحر هذا) وهم قد قالوا (هذا سحر) بغير استفهام ؟

---

[١٠٦] اصول النحو ، ابن السراج : ٢/٢٣٩ .

[١٠٧] معاني القرآن ، الفراء : ٣ /٢٦٠ .

قلت : قد يكون هذا من قولهم على أنه سحر عندهم وأن استفهموا ؛ كما ترى الرجل تأتيه الحائزة فيقول : أحق هذا ؟ وهو يعلم أنه حق لاشك فيه فهذا وجه. " [١٠٨]

أشار سمير ستيتة إلى ذلك بقوله : " أن يكون التركيب في البنية المنطوقة { قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا } { يونس٧٧} ولكن الاستفهام جاء بصورة موسعة إذ أمتد إلى الجملة التوليدية "هذا سحر"، فأصبحت : أهذا سحر ؟ ثم تغير الترتيب فأصبحت " سحر هذا ؟ " ، والدليل على أن (أسحر هذا) من باب التوسعة للاستفهام الأول هو أن الاستفهام فيهما واحد ، وهو السؤال عن قولهم للحق إنه سحر .[١٠٩]

الإحلال : الإحلال نمط من أنماط التحويل ، ويتمثل في أن يحل عنصر آخر متضمنا معناه ، مع إضافة دلالة جديدة ، ويمكن أن نفسر من خلال هذا النمط بعض تراكيب اللغة العربية من التحويل بالإحلال ، إقامة الوصف مقام الموصوف ، وذلك في نحو قوله تعالى " { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ } {الحجرات : ٢} يشير الفراء إلى ذلك بقوله : " يقول : لا تقولوا : يا محمد ، ولكن قولوا يا نبي الله – يا رسول الله ، يا أبا القاسم . (٧٥) من ثم أقام الصفة مقام الموصوف ، مستعملا لذلك ما يتناسب معه من أدوات النداء ، النبي ولهذا دلالة مهمة في إثبات صفة النبوة للرسول صلى الله عليه وال وسلم ، وفي هذا تكريم له من الله سبحانه وتعالى .

---

[١٠٨] المصدر نفسه : ٣ /٢٦٠ .

[١٠٩] الأنماط التحولية في الجملة الاستفهامية العربية : ٤٠ .

الخاتمـــة :

لم يدخر علماء العربية جهدا في دراسة اللغة الغربية مدفوعين برغبة علمية صادقة في أن يحافظوا على لغة القرآن الكريم ويسهلوا تعليمه ، وهم في سبيل هذه الغاية أفادوا من جميع العلوم المتوفرة في عصرهم وقد ساعد على ذلك الهدف : الاحتكاك الثقافي والانفتاح الفكري الإسلامي واتصالهم بالحضارات المختلفة .

وقد حاول هذا البحث أن يعرض صورة للمنهج التحويلي وأن يتبع الخيوط المنهجية عند بعض النحويين العرب في بيان صورة واضحة عن الفكر النحوي لإثبات ان القدامى عالجوا الموضوع ذاته ولكن من دون ذكر المصطلحات الحديثة ولهذا فأن الاستنتاج الذي توصل اليه البحث أن النحاة لم يهملوا المعنى بل كان هدفا رئيسا من اهداف دراستهم لذا فأنهم ربطوا بين المبنى والمعنى مع ملاحظة إن النحويين بالشكل الاعم الاغلب يميلون إلى المبنى لإحساسهم بأن الشكل أكثر ثبوتا من المضمون .

ويزيد الإحساس بتفوق النحاة في الربط بين المبنى والمعنى عند الاطلاع على المناهج الغربية ، وما واجهته من صعوبة في ضبط الظاهرة اللغوية ضبطا تاما يجمع بين المبنى والمعنى مما أدى إلى انحياز المدرسة السلوكية إلى الشكل في حين انحازت المدرسة الانكليزية إلى المضمون وقد واجهت هذه الصعوبات تشومسكي أبرز إعلام المنهج التوليدي التحويلي وما التعديلات التي أجراها تلاميذ تشومسكي إلاّ محاولة منهم في إيجاد موازنة بين الشكل والمضمون .

وذلك بهدف الوصول إلى تشكيل قاعدة عريضة تتسم بروح الأصالة

وتتطلـــع إلى إيجاد نظرية لغوية ذات صبغة علمية مجددة ، وبذلك قد توصل البحث إلى النتائج الآتية .

١- نظر المنهج التحويلي إلى الظاهرة اللغوية على إنها أبعاد ذهنية فكرية نفسية ، ومن ثم ركز على السلوك الداخلي للإنسان ، في حين أُخذ عليه عدم إحاطته بأثر السلوك الخارجي له .

٢- إن تفحص المعنى التفسيري السياقي يتطلب معمولين يطابق أحدهما الآخر وعلى هذا تكون البنية العميقة . والشاهد يجب أن يكون مؤلفا من جملتين ، وفي البنية العميقة كلاما من جملة واحدة فقط .

٣- الجملة التوليدية هي الزيادة المؤثرة في بؤرة الجملة (نواتها) فقد نقلت معنى الجملة التوليدية إلى جملة تحويلية عنصر التحويل فيها الزيادة التي أفادت المعنى وهذا ما حدده خليل عما يره في كتابه (في نحو اللغة وتراكيبها)

٤- نجد نقاط موازنة كثيرة بين ما نظره النحاة العرب وتنظيرات المنهج التحويلي ، وذلك فيما يتعلق بالبنية السطحية والبنية العميقة ، وكذلك فيما يتعلق بعناصر التحويل ، ويظهر ذلك جليا فيما عُرف بـــ (بنظرية العامل والرابط الإحالي) عند التحويليين .

٥- التطابق واضح بين الافكار التي عالجت الموضوع ذاته سوى إن المحدثين من النحويين اضافوا مصطلحات جديدة لمفاهيم قديمة وهذا يدل على عمق المفكرين العرب وتوصلهم إلى نتائج باهرة سبقت الزمن بوسائل بسيطة لم تكن متوافرة لديهم على الضد مما توافر للباحثين المحدثين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الاتجاهات النحوية لدى القدماء ، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة / الدكتورة حليمة أحمد محمد عمايرة / قسم اللغة العربية – جامعة البلقاء التطبيقية – دار وائل للنشر – الطبعة الأولى ٢٠٠٦

٢- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي . ط٢ القاهرة ، ١٣٥٤هـ.

٣- الإعراب عن قواعد الإعراب ، ابن هشام ، تحقيق رشيد العبيدي ، دار الفكر ، بغداد، ١٩٧٠ م .

٤- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، نايف خرما . سلسلة عالم المعرفة . الكويت ، ١٩٨٧.

٥- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) / ميشال زكريا . المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ١٩٧٧ .

٦- الأنصاف في مسائل الخلاف ، أبن الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، د . ت .

٧- الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية . سمير ستيتية ، مجلة المورد . مجلد٢٠ ، العدد ١ ،١٩٨٩م .

٨- أوضح المسالك إلى ألفية أبن مالك ، ابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، ١٩٤٨.

٩- الايضاح في علل النحو / ابو القاسم الزجاجي ، تح مازن المبارك ١٩٧٩ ط٣ دار النفائس ، بيروت .

١٠- الخصائص ، ابن جني ، (أبو الفتح عثمان -٤٢٠ هـ) تحقيق محمد النجار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة . ١٩٥٢ ، ١٩٥٦ .

١١- دراسات في اللغة والنحو العربي . حسن عون ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

١٢- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ١٩٦٩ .

١٣- ديوان زهير بشرح ثعلب ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٤م .

١٤- شرح الكافية لأبن الحاجب ، الرضي الأستراباذي ط٢ بيروت ، دار الكتب العلمية ١٩٦٩م ، جـ٢. /٣٤٨ .

١٥- ظاهرة التنازع في العربية ، فيصل صفا ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧م .

١٦- علم اللغة ، دانيل مانيس ، ترجمة سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر ، الموقف الأدبي ، العدد ١٣٥ - ١٣٦ .

١٧- في نحو اللغة العربية وتراكيبها ، خليل عمايرة ، جدة ١٩٨٩م .

١٨- في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤.

١٩- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، مازن الوعر . دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨م .

٢٠- الكتاب . سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر – ١٨٨هـ) تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م.

٢١- اللغة العربية مبناها ومعناها . تمام حسان ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

٢٢- اللمع في العربية ، ابن جني (أبو الفتح عثمان -٤٢٠هـ) تحقيق حامد مؤمن ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٥م.

٢٣- معاني القرآن ، الفراء (أبي زكريا يحيى بن زياد ت٢٠٧هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، دار السرور ، ١٩٥٥م.

٢٤- مدخل إلى علم اللغة ، رمضان عبد التواب ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٢٥- مدخل إلى الجملة العربية / الدكتور محمود نحلة .

٢٦- مدخل إلى علم اللغة العربية / محمود فهمي حجازي ، ١٩٧٨ ط٢ دار الثقافة القاهرة .

٢٧- المستشرقون والمناهج اللغوية ، إسماعيل عمايرة ، ط٢ دار حُنين عمّان ١٩٩٢م .

٢٨- مشكلة البنية ، زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

٢٩- مغني اللبيب ، ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري -٧٦١هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ مطبعة المدني ، القاهرة . د. ت.

٣٠- المقتضب ، المبرد ، (أبو العباس ، محمد بن زيد -٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

٣١- من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر د. ت القاهرة ١٩٣٧.

٣٢- المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي / خليل عمايرة ، ط١، دار وائل ، عمان الأردن .

٣٣- النحو العربي والدرس الحديث ، عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩م .

٣٤- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج الظر اللغوي الحديث / نهاد موسى ، ١٩٧٨، ط٢، دار البشير.

٣٥- نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتعليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية ، مازن الوعر . دار طلاس ، دمشق ١٩٨٧م.

٣٦- نظرية تشومسكي اللغوية . ترجمة حلمي خليل دار المعرفة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م .

٣٧- نظرية التوليد والتحويل بين الفكرة الكامنة والأداء اللغوي / عبد الله عنبر، دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد٣٩ ، العدد٢، ٢٠٠٩.

٣٨- النظرية التوليدية والتحولية وتطبيقاتها في النحو العربي/ أ. أحمد المهدي المنصوري ، أ. د. أسمهان الصالح / جامعة حلب /حلب / الجمهورية العربية السورية .

٣٩- نشأة الدرس اللساني العربي الحديث – دراسة في النشاط اللساني العربي إلى بداية السبعينات – فاطمة الهاشمي- بكوش – رسالة ماجستير- اداب -١٩٩٩م .